ذكرُ النبيِّ الأُمّي وأهلِ بيتِهِ في القرآنِ الكريمِ، وبيانه في أحاديث الرسول ﷺ وأحاديث أهل البيت عليهم السلام

الدكتور

عبدالله خليل زباري العبادي

كلية العلوم الإسلامية – الجامعة الإسلامية في النجف الأشرف

ali1969aeae@gmeil.com

الملخص

يدور بحثي الموسوم بـ (ذكرُ النبيِّ الأُمِّي وأهلِ بيتِهِ في القرآنِ الكريمِ، وبيانه في أحاديث الرسولﷺ وأحاديث أهل البيت ﷺ) حول مسألتين مهمتين في حياة كل مسلم:

الأولى: هل أنَّ نبينا الذي بعثه الله لنا كان أمِّيًّاً بمعنى لا يقرأ ولا يكتب؟ أم أنَّ للفظ (أُمِّي) التي ورد نعته بها في سورة الأعراف معنىً آخر؟ وما الدليل القاطع على ذلك؟

الثانية: هل أنبأ الله عن الأئمة من آل محمد ونعتهم في كتابه القرآن الكريم والكتب السابقة، كما أنبأ عن نبيه محمد ونعته؟ وما الدليل القاطع على ذلك؟

البحث يتكفَّل الإجابة عن هذين السؤالين معاً من خلال التفسير لمجموعة من الآيات القرآنية والربط الموضوعي بينها؛ وذلك بالإستناد إلى الأدلة والمصادر والمراجع المعتبرة.

الكلمات المفتاحية: الأُمّي، أُمُّ القُرى، الأُمّيين، أهل الكتاب، الأمَّة المسلمة، بنو إسماعيل، أهل البيت.

The Unlettered Prophet and his Family in the Holy Qura'an and its Clarification in the Messenger and Ahlulbait's Hadiths

Dr.Abdullah Khalil Zbari Al-Abadi

Islamic University of Najaf - College of Islamic Education

Abstract

This research deals with two important issues in the life of every Muslim. First, was our Prophet, whom God sent to us, was illiterate in the sense that he could neither read nor write? Or does the term (Ummi), which he was referred to in Surat "Al-A'raf," have another meaning? What is the conclusive evidence for that?

Secondly, did Allah foretell the imams of Muhammad' family and describe them in the holy books, the Holy Qur'an and the previous books, as he had foretell the Prophet Muhammad and his attributes? What is the conclusive evidence for that?

The research ensures the answers to these two questions by explaining a number of Qur'anic verses and highlighting the objective relation between them depending on evidence, sources and authentic references.

Keywords: unlettered, Umm al-Qura, the holders of the book, the Muslim nation, the children of Ismail, the people of the house.

المقدَّمة

كان ولا يزال جدلٌ محتدمٌ حول معنى لفظ (الأُمِّي) الذي نعتَ الله ﷻ نبيَّه محمدﷺ به في كتابه الكريم، حيث قال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ...(١٥٧)... فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ(١٥٨)﴾ سورة الأعراف، ممَّا جَعَلَ هذا البحثَ يدور حول مسألتين مهمتين في حياة كلّ مسلم ومسلمة، وهما:

الأولى: هل أنَّ نبيَّنا الذي بعثَهُ اللهُ لنا كان أُمِّيَّاً بمعنى لا يقرأ ولا يكتب؟ أم أنَّ للفظ (أُمِّي) الذي ورد نعته به في سورة الأعراف معنىً آخر؟ وما الدليل القاطع على ذلك؟.

الثانية: مَنْ المقصود بـ(الأمَّة المسلمة) في دعاء إبراهيم الخليل وولده إسماعيل الذبيح في سورة البقرة: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ.. (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ.. (١٢٩)﴾، أي: هل أنبأ الله عن الأئمة من آل محمد ﷺ ونعتهم في كتابه القرآن الكريم والكتب السابقة، كما أنبأ عن نبيه محمدﷺ ونعته؟ وما الدليل القاطع على ذلك؟.

هذا البحث يتكفَّل الإجابة عن هذين السؤالين معاً من خلال التفسير الموضوعي لمجموعة من الآيات القرآنية والربط بينها؛ وذلك بالإستناد إلى تفسير القرآن بالقرآن، واللغة، والأحاديث المعتبرة.

التمهيد:

عُلِّمْنا - ونحن أطفال - أنَّ النبيَّ محمدﷺ كان أميَّاً لا يقرأ ولا يكتب، ثمَّ نزل عليه ملك الوحي جبرئيل وهو في غار حراء يتعبَّدُ لله، فقال ملك الوحي (جبرئيل) له: اِقرأْ. فردَّ عليه النبيُّ محمد: ما أنا بقارئ. أي إنّي لا أحسن القراءة، فضلاً عن الكتابة.

ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ(٤٨)﴾ من سورة العنكبوت. وما زال الوحي يهبط على الرسول محمدﷺ فيوحي إليه ما شاء الله من السور أو الآيات، وقد إتَّخذ الرسول كتَّاباً للوحي، فلمَّا جُمِعَ صار كتاباً وقرآناً يُتلى من قبل المسلمين جيلاً بعد جيل، وأسَّسَ الرسول أمَّة محبة للعلم، شيَّدَت حضارة عظيمة، تُسمَّى بالحضارة الإسلامية، أنجبت من العلماء الذين صنَّفوا كتباً في شتَّى العلوم والمعارف ما لا يمكن عدَّهُم كثرة، فكان من معجزات نبيِّنا الكريم محمدﷺ أنَّه جاء بكتاب يعجز الجنُّ والإنسُ وإن إجتمعوا على الإتيان بمثله أو بعشر سور من مثله، أو بسورة واحدة، مع أنَّه كان أميَّاً لا يقرأ ولا يكتب، ولم يَدُرْ في خلدنا يوماً أنَّ لفظ الأمي أطلق عليه؛ لأنَّه من (أمِّ القرى)، ولادة، ونشأة، وبعثة، أي لم يخطر ببالنا أنَّ للفظة (أُمّي) معنى آخر هو المقصود عندما ينعت به النبي محمدﷺ. لكن هل هناك من ضرورة تستدعي أن يكون النبي محمدﷺ أميَّاً لا يحسن القراءة والكتابة؟!

هل تبطل معجزته الكبرى (القرآن الكريم) إذا كان عالماً بالقراءة والكتابة، ودين جدِّه إبراهيم الخليل قبل البعثة؟! هل يسبب ذلك شك العقلاء المنصفين برسالته؟! وفي قبال ذلك: أليس معيباً أن يقول النبي محمدﷺ لأهل الكتاب من اليهود والنصارى: إنَّ وصفي في كتبكم، فقد نزلت البشارات بي على رسل الله في كتبهم مثل التوراة والإنجيل، ثمَّ عندما يقال له هذه التوراة، وهذا الإنجيل دلَّنا على وصفك فيهما، فيقول: لا أعرف القراءة والكتابة. أليسَ معيباً أن يأتي النبي محمدﷺ ويقول أريد أن أعلمكم الكتاب، ولكن أنا لا أحسن القراءة والكتابة، ثمَّ مَن علَّمَ عليَّ ابن أبي طالب القراءة والكتابة وهو قد تربَّى في حجر النبي محمدﷺ؟

والأمر الآخر هو أنَّ مصطلح (أهل البيت) يحمل من الدلالة ما لا يقل عن مصطلح (النبي الأمّي) وأكتنازه بالمعنى العميق، وإذا كان لأهل البيت ﷺ شأنٌ عظيم في الرسالة المحمدية، وهم ورثة الأنبياء فكيف لم يشر القرآن الكريم ولا الكتب الإلهية السابقة إلى ذلك؟ فهل لهم ذكر في القرآن الكريم؟ وأين ذلك؟ وهل لهم ذكر في الكتب السابقة؟ وأين ذلك؟

المبحث الأوّل:

ذكرُ النبيِّ الأُمّي وأهلِ بيتِهِ في القرآنِ الكريمِ

أوّلاً: النصوصُ القرآنيةُ التي وردَتْ فيها لفظُ الأمّي والأمّيين:

لا بدَّ من ذكر النصوص القرآنية التي وردت فيها لفظ (الأمّي) ولفظ (الأمّيين)؛ لكي يكون القارئ على بيِّنة من مدى استعمال القرآن لهاتينِ اللفظتنِ، وإليك ذكر النصوص القرآنية مورد البحث:

-﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ.. (١٥٧) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا..فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ (١٥٨)﴾ سورة الأعراف.

-﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٢٠)﴾ سورة آل عمران.

-﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥)﴾ سورة آل عمران.

-﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ

وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ (٢)﴾ سورة الجمعة.

ولا بدَّ من التدقيق في فَهْم معانيها، وأن يُرَى سياق ورودها، وأن يُقيَّمَ التفسيرينِ المختلفينِ لها في نهاية هذا البحث إن شاء الله تعالى، إذ يوجد لها تفسيران:

الأوَّل: (الأُمِّـي)، هو الـذي لا يعرف القراءة والكتابة.

الثاني: (الأُمِّي)، هو العربي المكي، إذْ النسبة إلى مدينة (أُمِّ القُرَى)، وهو أحد أسماء مكة: أُمِّي.

إذن وردت لفظة (الأمِّـي) مرَّتين في القرآن الكريم، وفي سورة الأعراف حصراً، كما وردت لفظة (الأميِّين) ثلاث مرَّات، مرَّتين في سورة آل عمران، ومرَّة في سورة الجمعة.

ويمكننا أن نلاحظَ أنَّ لفظ (الأُمِّي) أو (الأُمِّيين) جاء مقترناً بذكر أهل الكتاب، وكأنَّه قسيمه المقابل له، وسيظهر أثناء البحث سبب ذلك وحكمته.

ثانياً: معنى لفظة (الأُمّي) في اللغة العربية:

لفظة (الأُمِّـي) في اللغة العربية هي نسبة لـ(أمّ القرى)، وهي مدينة مكة، أو قرية مكة، إذ كانت تسمَّى (مكة) بأسماء عدَّة، منها: أُمّ القرى[١]، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لاَ رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ (٧)﴾ سورة الشورى، فالمراد من لفظة (أمِّ القرى) هنا مكة، إذ كانوا يطْلِقونَ اسم القريةَ على المدينة في الزمن القديم[٢]، وبذلك جاء الاستعمال القرآني، قال الله تعالى:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلاَّ أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (٩٤)﴾ سورة الأعراف، وعليه يُسَمُّونَ (المُدُن): (قُرَى)، كما تقدَّمَ في الآية السابعة من سورة الشورى، فكانوا يسمُّون مكة: (أمَّ القرى)، أي أمَّ المدن؛ لما لها من شأنٍ مركزي في حياة العرب من الجهتين: الاقتصادية والدينية؛ حيث فيها بيت الله (الكعبة المشرَّفة)، وغالباً ما كان يقطُنُ فيها آباء النبيِّ محمدﷺ، وكان لهم شأنٌ كبير في حياة العرب أكثر ممَّا نتصوَّره عنهم، فهم رؤساء العرب، ولا أقلَّ دينياً[٣]؛ لما لهم من شأن في رسم خطط لحفظ العرب، وحفظ أصالتهم، وحفظ دين إبراهيم وإسماعيلعليهما السلام، فعن الإمام أبي جعفر محمد الباقرعليه السلام قال: «**لم يزل بنو إسماعيل ولاة البيت، يقيمون للناس حجَّهم، وأمرَ دينِهم، يتوارثونه كابراً عن كابر..**»[٤].

لكنَّ هذه النسبة - أُمِّـي - أُشْكِلَ عليها بأنَّه يفترض أن يقال: قروي، أي النسبة للمضاف إليه لا للمضاف، فالنسبة تكون للجزء الثاني لا للأوَّل، كما هي عادة العرب في لغتهم، فمثلاً النسبة لـ(أمِّ الحصى): (حصوي)، كما أنَّ النسبة لـ(أبي الخصيب): خصيبي. فما كان مضافاً لأب أو أُم ينسب للجزء الثـاني، أي للمضاف إليه لا للجزء الأوَّل، أي

للمضاف، كما هو معروف في قواعد النحو العربي[٥].

والجواب: أنَّنا لو قلنا: قروي، نسبة إلى: (أمِّ القرى)، لالتبست هذه النسبة بنسبة أخرى، وهي النسبة لكلمة (قرية)؛ إذْ النسبة إليها: قروي.

وعليه فلفظة (الأُمِّي) أو(الأُمِّيين) نسبة لـ(أُمِّ القُرى)، فهو **مصطلح ديني** ذكَّرَ به القرآن الكريم **(أهلَ الكتاب)**، الذي هو مصطلحٌ ديني أيضاً من تأسيس القرآن الكريم؛ فتعني الأولى، أي (الأُمّي) من كان على دين النبيِّنِ إبراهيمَ وإسماعيلَ عليهما السلام، وأنَّ حَجَّهُ، أي الأُمِّي إلى الكعبة المشرفة، أي أنَّه مرتبط دينياً بمدينة (أمّ القرى)، ومرجعيتها العليا المتمثلة بآباء الرسول محمد ﷺ، أي الصفوة من ذرية النبي إسماعيل الذبيح عليه السلام، كما حدَّثنا الإمام الباقر عليه السلام: **«لم يزل بنو إسماعيل ولاة البيت، يقيمون للناس حجَّهم وأمرَ دينهم، يتوارثونه كابراً عن كابر..»**، أو (الأصلاب الشامخة) على حدِّ تعبير بعض زيارات الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، **«أشهدُ أنَّكَ كُنتَ نوراً في الأصلابِ الشامخة، لم تُنَجِسْكَ الجاهليةُ بأنجاسِها، ولم تُلْبِسْكَ من مُدْلَهِمَّاتِ ثيابها»**، كما وتعني الثانية، أي لفظة (كتابي) من كان على دين النبي موسى عليه السلام أو دين النبي عيسى عليه السلام، وهذا هو المفهوم من الاستعمال القرآني كما في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ اهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاَغُ وَاللّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٢٠)﴾ سورة آل عمران، أيْ أنَّ اللهَ تعالى يدعو نبيَّهُ لدعوةِ أمَّتينِ لدينه:

إحداهما: تابعة للنبي إسحاق عليه السلام والأنبياء من ذريته، مثل النبيينِ موسى وعيسى عليهما السلام، فسمَّاهم بـ**(الذين أُوْتُـواْ الْكِتَابَ)**، كما في الآية المتقدِّمة من سورة آل عمران.

وثانيهما: تابعة للنبي إسماعيل عليه السلام والصفوة من ذريِّته، والذين يتميَّزون عن الأُمَّة الأولى بحجِّهم إلى أوَّل بيتٍ وضعه الله للناس، وهو البيت العتيق (الكعبة المشرفة)، والكائن في أمِّ القرى(مكة)، حيث سمَّاهم (الأُمِّيِّنَ).

ثالثاً: النبي الأُمّي (محمد) ﷺ وأهل بيته عليهم السلام من ذريّة النبي إبراهيم عليه السلام:

أنجبت هاجر(أَمَةُ النبي إبراهيم عليه السلام أو زوجته) ولداً للنبي إبراهيم فسمَّاه إسماعيل؛ لأنَّ اللهَ سمع دعاءَهُ فيه، ولكنَّ اللهَ أمرَهُ بأخذه مع أمِّهِ هاجر إلى برية فـاران[٦]، ووضعه عند قواعد بيت الله ببكة، وعـاد إلى وطنه بأمر الله عز وجل، وجـرت أمـور كثيرة وإبتلاءات صعبة للنبي إبراهيم عليه السلام، كان قمَّتُها أن رأى رؤيا أنَّه يذبح ولده إسماعيل قربة لله تعالى، وذلـك بعدما كبر إسماعيل، حيث عاش في مكة، وأنبأ النبي إبراهيم عليه السلام ولـدَه إسماعيل عليه السلام وحيده يومذاك بتلك الرؤيا، فأسلم إسماعيل لذلك الأمر الإلهي الصعب، وأجاب والده بمنتهى الأدب، إذ لم يقل لوالده إبراهيم: اِذْبَحْنِي كما أمرك الله تعالى؛ لأنَّ لفظة (اِذبَحْ) تؤلم أبيه، ولكن قال: (اِفْعَلْ ما تُؤمَرُ)، أي إنَّكَ مأمورٌ يا أبه، وبذلك سَلَّمَ إسماعيل امتثالاً

للأمر الإلهي صابراً محتسباً، وكان حليماً كما أنبأ الله عنه حيث بشَّرَ الله ﷻ نبيَّه إبراهيم به من قبل، ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ (١٠٠) فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢)﴾ سورة الصافات.

ولَمَّا أوشك إبراهيم على ذبحه أظهر الله إرادته الجدية في ذلك، وهي إبقاء إسماعيل، وذبح كبشٍ فداءً له، كما قال الله تعالى فيما اقتصَّ لنا من قصته:

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧)﴾ سورة الصافات.

ومنذ ذلك اليوم وإلى ما شاء الله يضحَّى بالذبائح في أرض منى إحياءً لهذه الشعيرة.

وولد للنبي إبراهيم عليه السلام ولدٌ آخر بعد قصَّةِ نزول العذاب على قوم لوط، وسمَّاه إسحاق؛ لأنَّه سيسحق اللهُ به وبذريته الشرك والكفر والطغيان، كما بشَّره بولد يعقب والده إسحاق، اسمه يعقوب ويكنَّى بإسرائيل، تنتهي إليه مواريث الأنبياء، وسيكون من نسله أنبياء كثر، فاستبشر إبراهيم عليه السلام به وبذريته، وهذا ما يفهم من مجموعة من الآيات وردت في سور عدَّة من القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (١١٢) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ (١١٣)﴾ سورة الصافات. إذن ذكر الله تبارك وتعالى بشارتين لإبراهيم في سورة الصافات:

الأولى: البشارة بولادة الغلام الحليم، ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ (١٠١)﴾ ولم يذكر اسمه نصَّاً، وأمر والده إبراهيم بذبحه، ثمَّ رفع الذبح عنه، وفداه بكبش من الجنة ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧)﴾ سورة الصافات.

الثانية: البشارة بولادة إسحاق، وقد صرَّح باسمه، ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (١١٢)﴾

وقد جرت بركة الله تبارك وتعالى عليهما. أمَّا إسحاق فالأمر بيِّن، (وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَقَ)، وكما في قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَقَ وَمِن وَرَاء إِسْحَقَ يَعْقُوبَ (٧١) قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَـذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَـذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (٧٢) قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ (٧٣)﴾ سورة هود.

أمَّا إسماعيل فسيتضح ذلك بعد ذكر الآيات من سورة البقرة وتحليلها.

وبولادتهما (إسماعيل وإسحاق) كما قصَّ الله علينا في سورة الصافات صار للشجرة الإبراهيمية المباركة فرعان مباركان، هما:

الأول: الفرع الإسحاقي، وهو الفرع الأصغر، للولد الأصغر للنبي إبراهيم، وهو النبي إسحاق، وقد ختمت سلسلة الأنبياء من ذريته بالنبي عيسى

ابن مريم، فهو من ذرية إسحاق من طرف الأم، حيث شاء الله أن تحمل به العذراء البتول الصديقة مريم بنت عمران العظيم من غير مقاربة رجل، بل بنفخة من ملك الوحي جبرائيل، وكان يبشِّر بمجيء النبي العربي الأُمِّي، يعني المكي: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ **أَحْمَدُ** فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (٦)﴾ سورة الصف. وكما قال الله تبارك وتعالى:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ﴾؛ ولأنَّ العرب كان يسكن جلُّهم وأهـمُّ قبائلهم ما بين الفرات واليمن، كان لابدَّ من تعيين المنطقة الجغرافية والمدينة التي سيبعث فيها ذلك النبي، الذي هو خاتم النبيين وخامس الرسل من أولي العزم.

والثاني: الفرع الإسماعيلي، وهو الفرع الأكبر للولد الأكبر للنبي إبراهيم وهو النبي إسماعيل، الذي سكن في مكة المكرَّمة بقرب الكعبة المشرَّفة، والممتحن بفراق أبيه (إبراهيم)، والممتحن بسكنى وادٍ غيرِ ذي زرعٍ هو والصفوة من ذريته: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (٣٧)﴾ سورة إبراهيم، **والممتحن بالذبح**، فوعد الله إبراهيم وإسماعيل(**) بعد بناءهما الكعبة، وقصَّةِ الذبح أن يهب لهما أعظم نبي رسول، وهو خاتمهم وسيدهم، ويهب لهما أيضاً اثني عشر سيِّداً وإماماً من ذريتهما، أوَّلهم علي بن أبي طالب ثم الحسن والحسين ولدا علي وفاطمة بنت محمد سيدة نساء أهل الجنة، ثم تسعة أئمة من ذرية الحسين وهم: (علي السجاد ومحمد الباقر وجعفر الصادق وموسى الكاظم وعلي الرضا ومحمد الجواد وعلي الهادي والحسن العسكري والمهدي)، والمهدي هو خاتم الحجج لله على وجه الأرض كما أنَّ أوَّلهم النبي آدم، وهو الذي ينتسب من جهة الأب إلى النبي إسماعيل، فلونه لونٌ عربي، ومن جهة الأمِّ إلى النبي إسحاق[٧]، وهو الذي يغيب غيبة تطول حتى يشكُّ من يشكُّ بخط الأنبياء والرسل والأوصياء، ويرتاب من يرتاب بآل محمد[٨]، ثم يظهر كالشهاب يتوقَّدُ في الليلة الظلماء[٩]، فيوحِّد الأُمَمَ، ويملأُ الأرضَ قسطاً وعدلاً، كما مُلِئَتْ ظلماً وجـوراً[١٠]، فيقيم دولة التوحيد والعدل، ويظهر دين محمدﷺ الذي هو دين الأنبياء والرسل ﷺ (آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى)[١١] كما وعَدَ اللهﷻ في كتبه الكريمة:

﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (١٠٥) إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ (١٠٦)﴾ سورة الأنبياء.

رابعاً: الوعد الإلهي للنبي إبراهيم ﷺ:

وَعَدَ اللهُ عزَّ وجلَّ إبراهيمَ وإسماعيلَ ﷺ بالنبي الخاتم محمدﷺ الذي هو سيِّد المرسلين، وبالأئمة الاثني عشر الأطهار ﷺ، كما وردَ ذكرُ ذلك في القرآن

الكريم في سورة البقرة﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤) وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْناً وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥) وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦) وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ (١٢٩) وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢)﴾ سورة البقرة.

ففي هذه الآيات تظهر دعوة إبراهيم وولده إسماعيل واضحة في طلب ولادة النبي الخاتم والأئمة من آل محمد ﷺ معه، حيث سمَّوها بـ(الأمَّة المسلمة)، وأنَّ الإيمان بهذه الدعوة المستجابة من الملَّة الإبراهيمية التي لا يُسمَحُ بالرغبة عنها والإعراض، وقد وصَّى إبراهيم وِلْدَهُ بالإيمان بها، وكذا النبي يعقوب يوصي أولاده بالإيمان بها كما هو واضح في الآيات المذكورة آنفاً، ولا يسع المجال لذكر النصوص التوراتية التي تؤيد ذلك.

فالمراد من قولهما: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ أي اِجعلنا (مُسَلِّمَيْنِ) لك بالتسليم التامِّ إلى درجة الإستعداد للتضحية بالنفس إمتثالاً لأمرك، ولو بأنْ يذبحَ الوالدُ ولدَهُ في سبيل مرضاة الله وإعلاءً لكلمته، وصبر الوالد الرحيم والولد البار على الذبح من غير جرمٍ ارتكباه، ولا شكَّ أنَّ هذا بلاءٌ مبينٌ من الله لعباده الذين اصطفى، بل لملائكته المقربين وعباده المؤمنين؛ إذْ قد يشك بعبثية هكذا تكليف، ثمَّ يرتقي الشك إلى خط الأنبياء والرسل.

خامساً: الأمّة المسلمة في القرآن الكريم:

أوَّل ما ينبغي أن نورده في هذا المبحث مسألتينِ أو مقدِّمتينِ مهمتينِ؛ لكي نصل لنتيجة صحيحة، وهما:

المسألة الأولى: ألَّف علماء اللغة العربية والدراسات القرآنية كُتُباً في علمٍ اسموه علم الوجوه والنظائر أو الأشباه والنظائر[١٢]؛ إذْ تنبهوا لظاهرة مهمة، حيث وجدوا أنَّ اللفظة الواحدة قد ترد عدة مرات عدّة في القرآن الكريم، ولكن ليس بمعنى واحد في كلِّ الموارد، بل لمعانٍ عدَّة، فمثلاً لفظة: (الخير) جاءت بكثرة في القرآن الكريم، ولكن ليست بمعنى واحد،

فمثلاً في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤)﴾ سورة آل عمران، وتعني في هذه الآية: العدل والإصلاح[١٣]. وأمَّا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨)﴾. فتعني: المال[١٤]؛ لذا ذمَّ الله مَنْ يحبُّهُ حبَّاً شديداً، ولا يعقل أن يكون المراد من لفظ (الخير) هنا الفعل الحسن، فكم يوجد من فرق بين المعنى الأول والمعنى الثاني؟!

وهكذا لفظة (**الأُمَّة**)، وردت في القرآن الكريم مرَّات، ولها معاني عدَّة: فقد تأتي بمعنى: عصر من العصور البشرية، كما في قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ.... (٤٧)﴾ سورة يونس. وتأتي بمعنى: الجماعة كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣)﴾ سورة آل عمران. وتأتي بمعنى (الأئمَّة)، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا....(١٤٣)﴾ سورة البقرة. فهنا جاءت بمعنى (الأئمة). وبذلك جاءت الروايات عن أهل البيت عليهم السلام[١٥].

المسألة الثانية: إنَّ ما يحدِّدُ المعنى الوارد للفظة هو السياق أوَّلاً، والسنَّة الشريفة إن وجدت ثانياً. وأمَّا المعاجم اللغوية وكتب اللغة، مثل كتب الوجوه والنظائر، أو الأشباه والنظائر اللغوية، فقد تعطي للفظة الواحدة معاني عدَّة، ولكن هي لا تحدد معناها في هذا النص، أو ذاك تحديداً دقيقاً، وإن حددت فلنا أن نجتهد في قبال إجتهادهم، اللهم إلاَّ أن ترد النصوص القطعية عن الرسول، أو أهل البيت في بيان معناها فنقف عنده.

وعليه فليس من الضروري أن تكون لفظة (المسلمون)، أو (المسلمين) بمعنى واحد في القرآن الكريم، فقد نستعمل كلمة (مسلم)، وكلمة (مسلمون) و(مسلمين) بمعنى من شهد الشهادتين وصلَّى وصام، دون أن نعرف حقيقة إيمانه ومدى تسليمه لله وأوامره، وقد تُستعمل في التعبير القرآني بمعنى المسلِّم لله بالتسليم التام، أي صاحب المرتبة العليا من اليقين والرسوخ في العلم الإلهي، وهذا هو المراد من قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ سورة البقرة: الآية١٢٨، وقد وصل إبراهيم الخليل وولده إسماعيل عليهما السلام إلى هذه المرتبة من التسليم، حيث أقدما على الذبح طائعينِ ومُسَلِّمَيْنِ لله عزَّ وجلَّ، كما وصل اليها بالفعل الأئمة الأطهار من ذريتهما، أعني محمد صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام، والتي عبَّر عنها القرآن الكريم بـ(أُمَّة مُسْلِمَة)[١٦] كما في قوله تعالى المتقدم: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾.

وكذلك تحدَّثَ عنهم الله تبارك وتعالى في قوله: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا

لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ (٨٧)﴾ سورة الحج. فقد سمَّى النبيُّ إبراهيمُ محمدَ وآلَ محمدٍ في سورة الحج بـ(المسلمينَ)، وكان قد طلبهم من الله في سورة البقرة كما تقدَّمَ ذكره، وطلب أن يبعث فيهم رسولاً منهم: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨) رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ (١٢٩)﴾ سورة البقرة، وعليه فهذا هو المراد من طلبهما من الله ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾، فحرف الجر (مِنْ) يفيد التبعيض هنا، أي ربَّنا اِجعل بعض ذريَّتنا (أُمَّة مُسَلِّمَة) ومضحية في سبيلك، وهذا ما تصدِّقُهُ الأحاديث الكثيرة والمتواترة عن رسول الله ﷺ في فضل أهل بيته عليهم السلام من جهة[١٧]، وما تصدِّقُهُ سيرةُ أهلِ البيتِ والأحداثُ التي صارَتْ الآن ناجزة من جهة أخرى[١٨]. وهذا معنى الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ: «**أنا دعوة أبي إبراهيم**»[١٩]، ومعنى ما ورد عن باقر أهل البيت عليهم السلام: «**فنحن والله دعوة إبراهيم التي مَنْ هوانا قلبُهُ قُبِلَتْ حجَّتُهُ، وإلاَّ فلا يا قتادة**»[٢٠].

إذن البركة جرت على النبي إسماعيل عليه السلام أيضاً. وقد ورد ذكر هذا الدعاء واستجابته في التوراة التي أُنزلت على النبي موسى الكليم عليه السلام، فقد أورد النعماني (ت٣٦٩هـ) في كتابه الغيبة في الباب الرابع (في أنَّ الأئمة اثنا عشر إماماً وأنَّهم من الله باختياره) ما نصُّه:

«... ويَزِيدُ بإذن الله تعالى هذا الباب دلالةً وبرهاناً وتوكيداً تجب به الحُجَّة على كلِّ مخالف معاند وشاكٍّ متحير، بذكر ما نُدِب إليه في **التوراة** وغيرها من ذكر الأئمة الاثني عشر؛ ليعلم القارئ لهذا الكتاب الحق كلما شرح أضاءت سرجه، وزهرت مصابيحه، وبهر نوره فيما ثبت في التوراة، ممَّا يدلُّ على الأئمة الاثني عشر عليهم السلام ما ذكره في **السفر الأوَّل**، فيها من قصة إسماعيل بعد إنقضاء قصة سارة، وما خاطب الله تعالى به إبراهيم في أمرها وولدها قوله عزَّ وجلَّ: «**وقد أجبت دعاءك في إسماعيل، وقد سمعتُ ما باركته، وسأكثره جداً جداً، وسيلد اثني عشر عظيماً، أجعلهم أئمة كشعبٍ عظيم**». أقرأني عبدالحليم بن الحسين السمري - رحمه الله - ما أملاه عليه رجل من اليهود بأرَّجان يقال له الحسين بن سليمان من علماء اليهود بها، من أسماء الأئمة بالعبرانية وعدَّتهم، وقد أثبته على لفظه، وكان فيما قرأه أنَّه يبعث من ولد إسماعيل - في التوراة إشموعيل - يسمَّى **(مامد)**، يعني محمد، يكون سيداً، ويكون من آله اثنا عشر رجلاً، أئمة وسادة يقتدى بهم، وأسماؤهم: «**توقبيت. قيذوا. ذبيرا. مفسورا. مسموعا. دوموه. هذار. يثمو. بطور. نوقس. قيدموا**».

وسئل هذا اليهودي عن هذه الأسماء في أي سورة هي؟ فذكر أنَّها في مشلي سليمان، يعني قصة سليمان، وقرأ منها أيضاً قوله: «**وليشمعيل شمعتيخا هنِّبيّ برخَّتي أوتو وهيفريتي أوتو وهيريتي أوتو بمئد مئد شنيم عاسار نسيئيم يولد ونتيو لغوي غادل**».

وقال تفسير هذا الكلام: «**أنَّه يخرج من صلب إسماعيل ولدٌ مباركٌ، عليه صلاتي وعليه رحمتي، يلد من آله اثني عشر رجلاً يرتفعون ويبجلون، ويرتفع اسم هذا الرجل ويجلُّ ويعلو ذكره**».

وقرأ هذا الكلام والتفسير على موسى بن عمران ابن زكريا اليهودي فصححه، وقال فيه إسحاق بن إبراهيم بن بختويه اليهودي الفسوي مثل ذلك، وقال سليمان بن داود النوبنجاني مثل ذلك»[٢١].

سادساً: سيرة أهل البيت عليهم السلام والأحداث التي جرت عليهم.

إنَّ الوقائع التاريخية التي جرت على أهل البيت عليهم السلام والأحداث التي مرَّت عليهم كشفت مديات تسليمهم لله عزّ وجلّ، ومدى انتسابهم للشجرة الإبراهيمية والفرع الإسماعيلي، مثل:

١. مبيت علي بن أبي طالب عليه السلام في فراش رسول الله صلى الله عليه وآله عند الهجرة، حيث أخبره النبي أنَّه قد نزل الوحي من الله يأمره بالهجرة إلى المدينة، فقال له علي بن أبي طالب: أتنجو يا رسول الله إذا نمت بفراشك؟ فقال له النبي: نعم يا علي، فقال له عليٌّ: اذهب فداك نفسي يا رسول الله، فنام عليٌّ في فراشه يفديه بنفسه[٢٢].

٢. في معركة أحد حيث فرَّ المسلمون في الجولة الثانية من المعركة، فحمل خالد بن الوليد وأصحابه على رسول الله صلى الله عليه وآله ليقتلوه، فحامى عنه علي ابن أبي طالب عليه السلام وفداه بنفسه الطاهرة، وطرد الكتائب عنه، فاثخن بالجراح، وغيره لاذ بالجبال وشعابها فراراً[٢٣].

٣. معركة كربلاء واستشهاد الإمام الحسين عليه السلام، فقد ظهر مدى تسليم أهل البيت عليهم السلام، وعظم تضحيتهم في هذه الواقعة والفاجعة الأليمة لقلب كلِّ حر[٢٤].

المبحث الثاني:

وصف النبي وأهل بيته في السنّة والأحاديث

أوّلاً: أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل بيته عليهم السلام

لقد صدرت من رسول الله صلى الله عليه وآله في فضل أهل بيته عليهم السلام أحاديث كثيرة في مواقف عدّة، يصعب على الباحث الإلمام بها كلها، وهذه الأحاديث منتشرة في كتب المسلمين من الفريقين، ونجدها في كتب الأحاديث عموماً، وكتب السير والتواريخ والتفاسير وكتب أخرى، وقد نجدها في كتبٍ مخصَّصَةٍ لذكر فضائل أهل البيت عليهم السلام. فمن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا علي أنت منِّي بمنزلة هارون من موسى إلاَّ أنَّه لا نبي بعدي**»[٢٥]، وقوله صلى الله عليه وآله: «**أنا مدينة العلم وعلي بابها**»[٢٦]، وقوله صلى الله عليه وآله: «**إنِّي تاركٌ فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنَّ اللطيف الخبير أنبأني أنَّهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض**»[٢٧]، وقوله صلى الله عليه وآله: «**مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلَّفَ عنها غرق**»[٢٨]، وقوله صلى الله عليه وآله: «**إنَّ هذا الأمر لن ينقضي حتى يملك اثنا عشر خليفة، كلُّهم من قريش**»[٢٩].

إذن أهل البيت لهم منزلة كبيرة لا يستهان بها، وهم أهل علم ينبغي للمسلم أن ينهل منهم كما ينهل من القرآن الكريم.

ثانياً: هل تعلّم النبي محمدﷺ عند أحد؟

لم يحدِّثْنا التأريخُ أنَّ النبيَّ محمداً تلقَّى التعليم عند أحد من الناس، حتَّى القراءة والكتابة، وفي ذلك حكمة إلهية؛ لكي لا يقول المرتابون والمشكِّكون برسالة النبي أنَّه جاء بهذه التعاليم وهذا العلم من معلميه، ومن الكتب التي كان يقرأها ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لاَرْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (٤٨)﴾ سورة العنكبوت، فيحدثوا لغطاً وإعلاماً مضللاً يشوِّش على الناس، فسدَّ اللهُ عليهم الطريق من البداية، فإذا ثبت أنَّه لم يتعلم عند أحدٍ من الناس، فمن أين جاء بكلِّ ذلك العلم والتعاليم؟.

وهذا التساؤل المنطقي هو ما يريده الله من عباده؛ لكي يصلوا إلى الحقائق، وأنَّ النبي محمدﷺ جاء بها من جهة عالم الغيب، من عند الله ﷻ؛ حيث لا يوجد تفسير منطقي سوى ذلك.

لكنَّ عدم تعلم النبي محمد عند أحدٍ من الناس، لا ينفي أنَّ له قناة معرفية يتعلم منها، وينهل ما يريد من المعارف والعلوم، ويحوز ما شاء من الملكات والكمالات، من هنا علينا أن نرجع لأقرب الناس إليه ليحدثونا عنه؛ لأنَّهم أعرف الناس به، لا سيَّما إذا عرفنا أنَّهم محل إطلاع وثقة، لا أن نذهب يميناً وشمالاً في أفكارنا ومعلوماتنا عن رسولنا الكريم محمدﷺ، وقد قال لنا نبينا نبي الرحمة والإنسانية، النبي محمدﷺ: «**أنا مدينةُ العلمِ وعليٌّ بابُها، فمن أراد العلم فليأتها من بابها**»، فلماذا لا نبحث في تراث علي ابن أبي طالبؑ، وهو ابن عمِّه الذي تربَّى على يديه وعاش معه؛ ليحدثنا عن هذا الأمر، وفي تراث أهل البيت ﷺ الذين رزقهم الله فهمه وعلمه؟!.

لقد ورد في إحدى خطب الإمام علي في كتاب نهج البلاغة الذائع الصيت وصف النبي محمدﷺ قائلاً: «**ولَقَدْ قَرَنَ اللهُ بِهﷺ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ، يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ، لَيْلَهُ وَ نَهَارَهُ...**»[٣٠].

وفي حديثٍ عن الإمام جعفر الصادقؑ: «**كان عبدالمطلب يُفْرَشُ له بفناء الكعبة لا يفرش لأحدٍ غيره، وكان له وُلْدٌ يقومون على رأسه فيمنعون من دنا منه، فجاء رسول الله وهو طفلٌ يدرج حتى جلس على فخذيه، فأهوى بعضُهم إليه لينحيه عنه، فقال له عبد المطلب: دعِ ابني، فإنَّ الملك قد أتاه**»[٣١].

إذن كان لرسول اللهﷺ قناة معرفية وعلمية مفتوحة على السماء مباشرة، فهو بفضل الله ﷻ غني عن تعليم البشر، ثمَّ ما معنى قول الله تعالى له: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ (١) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ (٣)﴾ سورة العلق، إذا كان رسول الله لا يحسن القراءة والكتابة؟!.

ثالثاً: أهمية وصف الإمام علي عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله

يشكِّل وصف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لرسول الله محمد صلى الله عليه وآله في كتاب نهج البلاغة أهمية بالغة لنا لمعرفة أحوال نبيِّنا؛ ذلك لأنَّ:

١. أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عاش مع رسول الله صلى الله عليه وآله، ملازماً له أكثر من ثلاثين سنة، وهذه المدة كافية لكي يعرف تفاصيل ودقائق حياة رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد قال الإمام عليٌّ عن نفسه في الكوفة أيام خلافته: «**وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيصَةِ، وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ، يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْنُفُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ، وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ، وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ. وَلَقَدْ قَرَنَ اللهُ بِهِ صلى الله عليه وآله مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ، يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ، وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ، وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ، يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَماً، وَيَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ، وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ، فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ، وَأَشُمُّ رِيحَ النُّبُوَّةِ**»[٣٢].

٢. أمير المؤمنين صادق بل هو الصدِّيق الأكبر، وبذلك جاء الحديث عن رسول الله وعنه[٣٣].

٣. أمير المؤمنين عالم دقيق الملاحظة.

٤. أمير المؤمنين يستقي معارفه من القرآن الكريم، ومنها وصف النبي محمد صلى الله عليه وآله، فقد ورد في الحديث عن رسول الله أنَّه قال: «**عليٌّ مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض**»[٣٤]. كما ثبت ذلك أيضاً من خلال دراسة بعض الباحثين[٣٥].

٥. أمير المؤمنين يمتلك فصاحة منقطعة النظير، ولديه قدرة على التصوير بدقة.

ومن هنا سيكون وصفه للرسول الكريم في غاية الأهمية، وجدير بالدراسة، وعند دراسته لا نجد بتاتاً ما يشير ولو من بعيد إلى أنَّ الرسول كان لا يحسن القراءة والكتابة، بل على خلاف ذلك هناك نصوص توحي أنَّه كان يعرف القراءة والكتابة:

- منها قوله: «**وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ، وَالْعَلَمِ الْمَأْثُورِ، وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ، وَالنُّورِ السَّاطِعِ، وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ...**»[٣٦]، فكيف يرسله بالكتاب المسطور وهو لا يحسن قراءته، ويريد أن يعلمه للناس؟ أي كيف يعلِّم ما لا يحسن قراءته وكتابته؟ إذ كان من مهامه أن يعلم الأمة الكتاب والحكمة كما أنبأ الله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١٦٤)﴾ سورة آل عمران.

- ومنها قوله عليه السلام في وصف الحياة الجاهلية: «**فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ، جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ، فِي خَيْرِ دَارٍ وَشَرِّ جِيرَانٍ، نَوْمُهُمْ سُهُودٌ، وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ، بِأَرْضٍ**

عَالِمُهَا مُلْجَمٌ، وَجَاهِلُهَا مُكْرَمٌ...»[٣٧].

«ومنها يعني آل النبيﷺ هُمْ مَوْضِعُ سِرِّهِ، وَلَجَأُ أَمْرِهِ، وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ، و مَوْئِلُ حُكْمِهِ، وَكُهُوفُ كُتُبِهِ، وَجِبَالُ دِينِهِ، بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِهِ، وَأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِهِ»[٣٨].

فمن هذا العَالِم؟ وكيف يكون عالماً وهو لا يحسن القراءة والكتابة؟ أيكون رسول اللهﷺ أقلَّ كمالاً منه؟ ثمَّ ينبئُنا الإمام عليٌّعليه السلام أنَّ أهل البيت عليهم السلام كهوف كتب رسول الله، أي عند رسول الله كتب.

- ومنها قولهعليه السلام: **«إِنَّ اللهَّ بَعَثَ مُحَمَّداًﷺ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً، وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً، فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ، وَ بَلَّغَهُمْ مَنْجَاتَهُمْ، فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ، وَاطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ»**[٣٩].

فقول الإمام عليعليه السلام: **«إِنَّ اللهَّ بَعَثَ مُحَمَّداً (صلى الله عليه وآله) وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَاباً، وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً»** له مفهوم، وهو: فجاء محمد يقرأ كتاباً ويدَّعي نبوَّة..... وهكذا لو فتَّشنا كل النصوص المأثورة عن الإمام عليعليه السلام في وصف النبي محمدﷺ فإنَّنا لا نجد ما يشير صراحة إلى أمية النبي، بمعنى عدم قدرته على القراءة والكتابة، وهكذا وصف الأئمة من آل محمد لرسول اللهﷺ.

رابعاً: رواية غريبة عن الإمام الرضاعليه السلام في وصف النبيﷺ

وردت رواية عن الإمام علي بن موسى الرضاعليه السلام قد يفهم منها أنَّ النبي محمد لم يكن يعرف القراءة والكتابة، في مناظرة له مع أحد رؤساء الأديان يُدعى رأس الجالوت، قال فيها الإمام الرضا: **«وكذلكَ أمرُ محمدٍ وما جاءَ بهِ كلُّ رسولٍ بعثَهُ اللهُ، ومن آياتِهِ أَنَّهُ كان يتيماً فقيراً راعياً أجيراً، لم يتعلَّم كتاباً، ولم يختلف إلى معلِّم، ثمَّ جاءَ بالقرآنِ الذي فيه قصصُ الأنبياءِ وأخبارِهِم حرفاً حرفاً، وأخبارُ مَنْ مضى ومَنْ بقي إلى يوم القيامة»**[٤٠].

فقوله: **«لم يتعلم كتاباً، ولم يختَلِفْ إلى معلِّمٍ»** عند التدقيق في معنى الكلام لا تعني لا يعرف القراءة والكتابة، وإنَّما تعني لم يكن يتعلم التوراة أو الإنجيل عند معلمٍ من علماء أهل الكتاب، لكي يُشْكَلَ عليه بأنَّه جاءَ بقصصِ الأنبياءِ والأخبار بالمغيَّبات ممَّا درس من الكتب، وممَّن تعلم عنده من أساتذته. وعليه أن يتساءل المنصف والباحث عن الحق: من أين جاء محمد بكل هذه المعلومات مع أنَّه لم يتعلَّم عند أهل الكتاب ولا كان يقرأ في كتبهم؟!.

وعليه ليس له تفسير إلاَّ أن نعترف أنَّ الوحي قد جاء إلى محمد بأمر الله عزَّ وجلَّ، ونقرَّ بنبوته وبعثته من قبل الله عزَّ وجلَّ، وهذا ما يريد قوله الإمام الرضا لرأس الجالوت.

وكيف يغيب عن الإمام الرضا وصف جدِّه الإمام جعفر الصادق لرسول اللهﷺ: **«... بَشَّرَتْ بِهِ الأنبياءُ في كُتُبِها، ونَطَقَتْ بِهِ العلماءُ بنعتِها، وتأمَّلَتْهُ الحكماءُ بوصفِها، مهذَّبٌ لا يدانى، وهاشميٌّ لا يُوازَى، وأبطحيٌّ لا يُسامى... ابتعثَهُ رحمةً للعبادِ،**

وربيعاً للبلادِ، وأنـزلَ اللهُ إليهِ الكتابَ فيه البيانُ والتبيانُ، قرآناً عربياً غيرَ ذي عوجٍ لعلَّهُم يتَّقون، قد بيَّنَهُ للناسِ، ونهجَهُ بعلمٍ قد فصَّلَهُ، وديـنٍ قد أوضحَهُ...»[41]، وهذا محال بحقِّ الإمام الرضا.

ولستُ أدري لماذا التعلق بصفة (الأُمِّي) بمعنى الذي لا يقرأ ولا يكتب، وترك كلِّ هذه الصفات البهية الجميلة للنبي المختار؟! وكأنَّ الإعجاز بالقرآن يبطل إذا قلنا أنَّ النبي كان عالماً قبل البعثة يحسن القراءة والكتابة، نعم علمه لم يكن من خلال تعلمه في مدرسة وعند معلِّمٍ بشري كما أشير له في البحث سابقاً، ولا يوجد في كتب السير والتواريخ أنَّ النبي كان يختلف إلى معلِّم.

خامساً: بقية الروايات الواردة في معنى الأُمّي

تفاوتت الروايات الواردة في تفسير لفظة (الأمِّي) بين ما يطابق ما توصَّلَ له الباحث، وبين ما هو غير واضح في الموافقة أو المخالفة، وبين ما يخالف ما توصَّلَ له الباحث، ولنعرض إحدى هذه الروايات، وهي ما يوافق ما توصَّل إليه الباحث، وهي رواية عن إمامنا أبي جعفر محمد الجواد عليه السلام، فقد روى الشيخ الصدوق في كتابه (عيون أخبار الرضا) عن شيخه ابن الوليد عن سعد بن عبدالله عن الخشاب عن علي بن حسان وعلي بن أسباط وغيره رفعه عن أبي جعفر (الإمام محمد الجواد عليه السلام) «**قال: قلتُ: إنَّ الناس يزعمون أنَّ رسول الله لم يكتب ولم يقرأ، فقال: كذبوا لعنهم الله، أنَّى يكون ذلك وقد قال الله عزَّ وجلَّ:** ﴿هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلاَلٍ مُّبِينٍ (٢)﴾ سورة الجمعة. **فيكون يعلِّمُهُم الكتابَ والحكمةَ وليس يُحْسِنُ أن يقرأ أو يكتب؟! قال: قلت: فلِمَ سُمِّي الأمِّي؟ قال [أي الإمام الجواد]: نُسِبَ إلى مكة، وذلك قول الله عزَّ وجلَّ:** ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ سورة الشورى، فـ(أمّ القرى): **مكة، فقيل: أُمِّي؛ لذلك»**[42].

سادساً: مَنْ أوّل من وصف النبي محمد صلى الله عليه وآله بأنّه لا يحسن القراءة والكتابة؟

لَمَّا وصلَ أعداءُ رسولِ الله صلى الله عليه وآله بنو أمية إلى الحكم بعد أن اتقنوا فن النفاق، وبمساندة أهل النفاق الذين تقدموهم، عملوا على تحطيم شخصية الرسول الكريم صلى الله عليه وآله سرّاً؛ وذلك بوضع روايات على ألسن منافقي الصحابة، مؤدَّاها أن تنطبع صورة عن رسول الله صلى الله عليه وآله في ذهن المسلم غير الصورة الحقيقية؛ الهدف منها غرضان:

الأوَّل: تنفيذ حقدهم على النبي محمد صلى الله عليه وآله؛ لأنَّه حطَّم أصنامهم التي يعبدونها دون الله عزّ وجلّ، ودينهم الذي يستحلون به الربا والزنا وشرب الخمر و.... فوضعوا روايات تقلل من شأنه.

الثاني: لكي يتَّسع لهم المجال فيما يفعلونه من أمور تخالف الشرع الحنيف؛ لأنَّه إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتَّصف بهذه الصفات التي افتروها وعلَّموا الأجيال عليها، وأنَّه يتصف بمثل هذه الصفات ويفعل مثل

هذه الأفعال، ويقع في مثل هذه الأخطاء بحجة كونه بشر، وبحجة هذا ما جاءت به الأخبار عنه، فإذا كان الأمر كذلك فلا حرجَ على خليفته أن يتصف بمثل صفاته ويعمل مثل أعماله(٤٣).

كما عملوا بكلِّ صلافة على تحطيم شخصية علي ابن أبي طالب عليه السلام علناً، وتنفير الأمَّة منه، بالبراءة منه، وسبِّه على المنابر، وقاتلوه مجتهدين في قتاله في معركة صفين، مدَّعين أنَّه يحمي قتلة عثمان ويتستر عليهم بالباطل، وأنَّهم أولياء دم عثمان الشرعيين، وبعد ذلك ادَّعى اتباعهم أنَّهم مأجورون على قتالهم للإمام علي عليه السلام؛ وذلك لأنَّهم مجتهدون، والمجتهد إنْ أصاب فلهُ أجران، وإنْ أخطأ فله أجرٌ واحد(٤٤).

ولم تنتهِ معركتهم مع الإمام علي بصفين، فتتبعوا أنصاره من الصحابة والتابعين وقتلوهم وأذلوهم وقهروهم، وتتبعوا شيعته من أهل المصرين الكوفة والبصرة فقتلوهم، ولم يسمحوا لهم بنشر علومهم التي تعلموها من إمامهم علي بن أبي طالب عليه السلام، وتبنَّوا نشر أفكار وأحاديث تنسجم وتوجهاتهم المعادية للإسلام وأهله بشكلٍ مبطَّن، ومن جملة هذه الأفكار كون الرسول صلى الله عليه وآله لم يكن يحسن القراءة والكتابة(٤٥).

ثمَّ مُزِجَتْ هذه الفكرة مع فكرة الإعجاز فانطلت على عامة المسلمين، وقد تبيَّن من خلال البحث أنَّ هناك فرقاً كبيراً بين كون النبي محمد صلى الله عليه وآله لم يتعلَّم عند بشر، وكونه لا يحسن القراءة والكتابة.

سابعاً: وصف رسول الله محمد صلى الله عليه وآله بالأُمّي مدحٌ وتعريف لا ذم

هذا ما يمكن أن يشمَّ من قوله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧) قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨)﴾ سورة الأعراف.

ومن خلال هذا البحث يمكن أن نستنتج أنَّ كلمة (أُمِّي) إنْ لم تكن مدحاً بمعنى النبي الإبراهيمي الإسماعيلي العربي، أي أنَّ النبي الخاتم من ذرية النبي إسماعيل بن النبي إبراهيم، فهي ليست ذمَّاً بمعنى الذي لا يقرأ ولا يكتب، وإنَّما إعطاء صفة مميزة للنبي الخاتم، وهي أنَّه يبعث من مكة (أمِّ القرى). فتحديد الرقعة الجغرافية التي يبعث منها نبي آخر الزمان وخامس الرسل من أولي العزم سيعين كثيراً للاهتداء إليه؛ إذْ لم يبعث أحدٌ من أولي العزم من مكة التي فيها الكعبة المشرفة، فالنبي نوح وهو أوَّل أولي العزم من الرسل بُعث في أرض العراق، وكذلك النبي إبراهيم، أمَّا النبي موسى ففي أرض مصر، أمَّا

النبي عيسى ففي أرض الشام.

إنَّا نجد لفظة (**الأُمِّي**) ترد على لسان الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام مع مجموعة من الألفاظ القريبة لها والمبينة أو المرادفة لها في أحد أدعيته، حيث يقول: «...**اللهمَّ بذمَّةِ الإسلامِ أَتوسَّلُ إليكَ، وبِحُرْمَةِ القرآنِ أَعْتَمِدُ عليكَ، وبحُبِّيَّ النبيَّ الأُمِّيَّ القُرشيَّ الهاشميَّ العربيَّ التهاميَّ المكيَّ المدنيَّ أَرْجُو الزُّلْفَةَ لديكَ...**»[٤٦]، فلا يمكننا أن نتصور أنَّ الإمام زين العابدين يتوسَّلُ إلى الله بالنبيِّ محمد، قائلاً أتوسَّلُ اليك يا إلهي بالنبي الذي لا يحسن القراءة والكتابة؛ إذْ لا معنى لهذا الكلام، ومن الواضح أنَّ هذه اللفظة (الأُمِّي) بمعنى الذي ينتسب إلى أمَّة النبي إسماعيل الساكن في مكة هي التي تناسب الألفاظ الأخرى مثل: «**القُرشيَّ الهاشميَّ العربيَّ التهاميَّ المكيَّ...**»، وقد تقدَّم القول بأهمية السياق في تحديد معنى اللفظة، وعليه فلفظة (الأميِّين) تعني الإسماعيليين أو الذين حجَّهم إلى مكة (أم القرى) أو العرب، في قبال أهل الكتاب التي تعني الإسرائيليين أو اليهود والنصارى.

الخاتمة:

سعى أعداء رسول الله صلى الله عليه وآله المتخفين بالإسلام بعدما أطاح بأصنامهم وطريقة الشرك التي كانت طريقتهم المثلى إلى النيل من شخصه الكريم، فلم يقدروا أن يسبُّوه على منابر المسلمين كما صنعوا بأخيه ووصيه علي بن أبي طالب عليه السلام، فعملوا على تحريف سيرته العطرة، وتشويه سمعته الزكية، وذلك بوضع أحاديث كثيرة عليه، دسُّوها في كُتُب المسلمين، لا يسع البحث لذكرها، لكن تناولنا إحداها وهي أمية الرسول بمعنى جهله بالقراءة والكتابة، وجاء اليوم الذي يحاسبُ فيه (المسلمون حقّاً المحبون صدقاً لشخص الرسول) مثلَ هذه الزخارف والأكاذيب.

وإنَّ ممَّا أعانهم على ذلك أمران:

الأوَّل: أنَّ السلطة كانت بأيديهم لزمنٍ غير قليل، فسخروها لنشر الباطل.

الثاني: أنَّ الكلمة الواحدة في اللغة العربية لها معاني عدَّة، يفهم معناها عن طريق السياق المقالي أو المقامي، ففسَّروا بعض الكلمات القرآنية حسب أهوائهم، وأعانهم على ذلك قومٌ آخروهم.

هذا البحث تكفل البيان الصحيح للفظ (الأمّي) الذي ورد نعتاً لنبينا الكريم محمد صلى الله عليه وآله في الكُتُب السابقة كما ذكر ذلك القرآن الكريم، بل كشف عن أنَّ أهل بيته الكرام مبشَّرٌ بهم أيضاً في الكُتُب السابقة فضلاً عمَّا ورد من ذكرهم في القرآن الكريم والسّنة المطهرة.

الهوامش

(١) (الصحاح، الجوهري، ج٥، ص١٨٦٣، مادة (أمم). وينظر: تفسير الصافي للفيض الكاشاني ٢: ٢٤٢.

(٢) (ظ: لسان العرب، ابن منظور، ج١٥، ص١٧٧، مادة (قرا).

(٣) ظ: السيرة النبوية، سامي البدري، ص٤٤-٤٨.

(٤) الكافي، الكليني، ج٤، ص٢١٠، ح١٧.

(٥) ظ: النحو الوافي، عباس حسن، ج٤، ص٧١٣، المسألة ١٧٧.

(٦) ظ: السيرة النبوية، سامي البدري، ص٤٠.

(**) ظ: ما كتبه العلامة مرتضى العسكري في كتابه معالم المدرستين في ج١، ص٥٣٨ وما بعدها، حيث ذكر بشارة التوراة، وتحديداً في العهد القديم – سفر التكوين، الإصحاح ١٧، الرقم ١٨-٢٠، من التوراة المتداولة في عصرنا.

(٧) ظ: معجم أحاديث الإمام المهدي، ج١، ص٨١ وما بعدها. فقد جاء في ص١٢٢ ما نصه: «**قال رسول الله**ﷺ: **المهدي من ولدي، وجهه كالقمر الدُّرِّيِّ، اللون لونٌ عربي، والجسمُ جسمٌ إسرائيلي، يملأُ الأرض عدلاً، كما ملئت جوراً، يرضى بخلافته أهل السماء وأهل الأرض، والطير في الهواء، يملك عشرين سنة**».

(٨) أصول الكافي، الكليني، ج١، ص٢٣٧، كتاب الحجة، الباب (١٣٧)، باب في الغيبة، ح٢ وح٣.

(٩) المصدر نفسه، ص٢٤١، ح٢٢.

(١٠) ظ: سنن الترمذي، ج٩، ص٧٤. سنن أبي داود، كتاب المهدي، ج٢، ص٧.

(١١) ظ: كتاب الغيبة، محمد بن إبراهيم النعماني، الباب الثالث عشر، ٢٣٧- ٢٣٨، الأحاديث: ٢٦، ٢٧، ٢٨.

(١٢) ظ مثلاً: كتاب ألفاظ الأشباه والنظائر، تأليف عبدالرحمن بن محمد بن سعيد الأنباري.

(١٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٢١٢، مادة (خير). وانظر تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، للعلامة محمد رضا المشهدي، ج٣، ص١٨٩.

(١٤) إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، الحسين بن محمد الدامغاني، ص١٦٧.

(١٥) ينظر: تفسير الصافي للفيض الكاشاني، ج١، ص٣٦٦.

(١٦) سورة البقرة، الآية: ١٢٨.

(١٧) ظ: كتاب المراجعات للعلاَّمة عبد الحسين شرف الدين الموسوي، تحقيق حسين الراضي، المراجعة رقم ٨، ص٧١.

(١٨) كتبت كتب كثيرة في سيرتهم، ينظر مثلاً: إعلام الورى بأعلام الهدى للعلامة الطبرسي. الدُّر النظيم في مناقب الأئمة اللهاميم للشيخ جمال الدين يوسف بن حاتم الشامي (من أعلام القرن السابع الهجري). منتهى الآمال في سيرة المصطفى والآل للشيخ عباس القمي.

(١٩) تفسير علي بن إبراهيم القمي، ج١، ص٦٢.

(٢٠) روضة الكافي، الكليني، ج٨، ص٣١١، ح٤٨٥، حديث الإمام الباقر مع قتادة البصري.

(٢١) كتاب الغيبة، النعماني (من أعلام القرن الرابع)، ص١٠٨- ١٠٩.

(٢٢) ظ كتاب: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، جعفر جواد الخليلي، ص٣٧. وأسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، ترجمة علي بن أبي طالب، ج٤، ص١٩.

(٢٣) الإرشاد إلى حجج الله على العباد، الشيخ المفيد، ج١، ص٧٨.

(٢٤) ظ مثلاً: كتاب مقتل الإمام الحسين، للسيد عبدالرزاق المقرَّم.

(٢٥) صحيح البخاري، ج٢، ص٢٠٠، باب مناقب علي بن أبي طالب. صحيح مسلم، ج٧، ص١٢٠، باب من فضائل علي بن أبي طالب. سنن الترمذي، ج١٣، ص١٧١، باب مناقب علي، ح ٣٧٢٥ وح٣٧٣٠. وينظر: معالم المدرستين، مرتضى العسكري، ج١. ص٥١٢-٥١٤.

(٢٦) ظ: معالم المدرستين، مرتضى العسكري، ج١، ص٥١٥-٥١٦، فقد خرَّج إسناد هذا الحديث عند المسلمين.

(٢٧) ظ: صحيح مسلم، ج٧، ص، باب فضائل علي بن أبي طالب. سنن الترمذي، ج١٣، ص١٩٩، باب مناقب أهل بيت النبي، خصائص النسائي، ص٣٠. مسند أحمد بن حنبل، ج٣، ص١٧، ٢٦، ٥٩. مستدرك الصحيحين، ج٣، ص١٠٩.

(٢٨) المعجم الصغير للطبراني، ج١، ١٣٩. المستدرك للحاكم، ج٢، ص٣٤٣، وج٣، ص١٥٠.

(٢٩) كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الاثني عشر، علي بن محمد الخزاز القمي (من أعلام القرن الرابع الهجري)، ص١١١، ذكر مؤلفه فيه الأحاديث المروية بالأسناد إلى الصحابة إلى رسول الله أنَّه نصَّ مراراً على كون الأئمة من بعده اثنا عشر إماماً.

(٣٠) نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي، الخطبة القاصعة، الخطبة ١٩٢.

(٣١) أصول الكافي، ج١، ص٣٢٤، كتاب الحجة، الباب (١٦٨)، باب مولد النبي ووفاته، ح٢٦.

(٣٢) نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي، الخطبة القاصعة، خطبة رقم ١٩٢.

(٣٣) بحار الأنوار، العلاَّمة المجلسي، ج٣٨، ص٣٥٧، الباب (٦٥) باب أنَّه صلوات الله عليه سبق الناس إلى الإسلام والإيمان والبيعة والصلوات زماناً ورتبةً، وأنَّه الصديق الأكبر.

(٣٤) رواه الحاكم في كتابه الشهير(المستدرك)، ج٣، ص١٢٤، وانظر التخريجة (٦١١) من كتاب المراجعات للعلامة عبدالحسين شرف الدين الموسوي، بتحقيق وتعليق حسين الراضي.

(٣٥) ظ مثلاً: الأثر القرآني في كتاب نهج البلاغة، للدكتور عباس الفحَّام.

(٣٦) نهج البلاغة، الخطبة رقم (٢).

(٣٧) المصدر نفسه.

(٣٨) المصدر نفسه.

(٣٩) المصدر نفسه، الخطبة رقم (٣٣).

(٤٠) عيون أخبار الرضا، الشيخ الصدوق، ج١، ص١٢٩، الباب (١٢) باب ذكر مجلس الرضا مع أهل الأديان.

(٤١) أصول الكافي، الكليني، ج١، ص ٣٢١، كتاب الحجة، الباب (١٦٨) باب مولد النبي ووفاته، ح١٧.

(٤٢) عيون أخبار الإمام الرضا، الشيخ الصدوق، وانظر كتاب: (معاني الأخبار) للشيخ الصدوق أيضاً، ص٥٣، باب معاني أسماء النبي وأهل بيته، فقد أورد رواية أخرى بسندٍ آخر في هذا المعنى.

(٤٣) ظ السيرة النبوية، سامي البدري، ص٣٠-٣٥. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ المفيد، ج١، ص٣٠٩-٣١٢.

(٤٤) ظ: معالم المدرستين، العلامة مرتضى العسكري، ج١، ص٣٤٥- ٣٩٧، كتمان فضائل الإمام علي ونشر سبه ولعنه والسبب فيهما.

(٤٥) ظ: المدخل إلى دراسة مصادر السيرة النبوية، سامي البدري، ص٣٧-٤٢.

(٤٦) مصباح المتهجِّد، الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت٤٦٠هـ)، ص٤١٠، من دعاء للإمام زين العابدين يسمَّى بدعاء السحر أو دعاء أبي حمزة الثمالي.

المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم

- الأثر القرآني في كتاب نهج البلاغة دراسة في

المضمون والشكل، د. عباس الفحَّام، منشورات الفجر، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١٠م.

– أُسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير، طبعة دار إسماعيليان، طهران – إيران.

– الإرشاد إلى حجج الله على العباد، الشيخ المفيد (محمد بن محمد بن النعمان العكبري ت٤١٣هـ)، طبعة مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم – إيران، ط١، ١٤١٣هـ.

– إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، الحسين بن محمد الدامغاني، حققه عبد العزيز سيد الأهل، ط دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٨٣م.

– أصول الكافي، الكليني (محمد بن يعقوب ت٣٢٩هـ)، ط مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، ط١، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

– أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، د. جعفر جواد الخليلي، ط دار الإرشاد، بيروت – لبنان، ط٢، ٢٠٠١م.

– بحار الأنوار، العلامة المجلسي (محمد باقر ت١١١٠هـ)، تحقيق لجنة من العلماء والمحققين بإشراف الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ط مؤسسة الأعلمي، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.

– تفسير الصافي، الفيض الكاشاني (الشيخ محسن ت ١٠٩١هـ)، منشورات مكتبة الصدر، طهران – إيران، ط١، ١٤٢٢هـ.

– تفسير كنز الدقائق وبحر الغرائب، الشيخ محمد بن محمد رضا القمي المشهدي، تحقيق حسين دركهاني، نشر شمس الضحى، طهران – إيران، ط١، ١٤٣٠هـ.

– تفسير علي بن إبراهيم القمي، صححه وعلق عليه السيد طيب الموسوي، منشورات مكتبة الهدى، ط دار الكتاب، ط٣، ١٤٠٤هـ.

– سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، ط دار الفكر، بيروت – لبنان.

– سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي السلمي، ط دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية، ط٢، ٢٠١٥م.

– السيرة النبوية، سامي البدري، ط دار الفقه، قم – إيران، ط٢، ١٤٢٣هـ.

– الروض الداني إلى المعجم الصغير للطبراني، تحقيق محمود شاكر محمود، ط المكتب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٨٥م.

– الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، الجوهري(إسماعيل بن حمَّاد)، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ط٤. ١٩٩٠م.

– صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ط دار ابن كثير، دمشق – سوريا، ط١، ٢٠٠٢م.

– صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

– عيون أخبار الإمام الرضا، الشيخ الصدوق (محمد بن علي بن الحسين ت٣٨١هـ)، ط مؤسسة المراقد المقدسة العالمية، النجف الأشرف – العراق، ط١. ٢٠١٢م.

- الكافي، الكليني (محمد بن يعقوب ت٣٢٩هـ)، ط دار الكتب الإسلامية، قم – إيران.

- كفاية الأثر في النصوص على الأئمة الاثني عشر، علي بن محمد الخـزَّاز القمي(من أعـلام القرن الرابع الهجري)، تحقيق محمد كاظم الموسوي وعقيل الربيعي، قم – إيران، ١٤٣٠هـ.

- كتاب الغيبة، محمد بن إبراهيم النعماني، تحقيق علي أكبر غفاري، الناشر مكتبة الصدوق، طهران إيران، دون ذكر سنة الطبع.

- لسان العرب، ابن منظور (محمد بن مكرم الإفريقي المصري)، ط دار صادر، بيروت – لبنان.

- المدخل إلى دراسة مصادر السيرة النبوية والتأريخ الإسلامي، سامي البدري، مطبعة كيميا، قم – إيران، ط١، ١٤٢٣هـ.

- المراجعات، العلامة عبدالحسين شرف الدين الموسوي، تحقيق وتعليق حسين الراضي، ط٢، بيروت – لبنان، ١٩٨٢م.

- المستدرك على الصحيحين، أبو عبدالله الحاكم النيشابوري، ط دار الحرمين للطبع والنشر، القاهرة – مصر، ط١، ١٩٩٧م.

- مصباح المتهجد، الشيخ الطوسي (محمد بن الحسن ت٤٦٠هـ)، صححه وأشرف على طبعه الشيخ حسين الأعلمي، ط دار الأعلمي، بـيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

- معالم المدرستين، العلامة مرتضى العسكري، ط مؤسسة البعثة، طهران – إيران، ط١، ١٩٩٢م.

- معاني الأخبار، الشيخ الصدوق (محمد بن الحسين ت٣٨١هـ)، تحقيق علي أكبر الغفاري، ط انتشارات إسلامي، قم – إيران، ١٣٧٩هـ.

- معجم أحاديث الإمام المهدي، تأليف الهيئة العلمية في مؤسسة المعارف الإسلامية، الناشر مؤسسة المعارف الإسلامية، قم – إيران، ط٢، ١٤٢٨هـ.

- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (الحسين بن محمد)، الناشر مكتبة نزار مصطفى الباز.

- نهج البلاغة، الشريف الـرضي، الناشر مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، قم – إيران، ١٤١٣هـ.